



لم تهدأ الاشتباكات على مدى الأيام الماضية بين فلول تنظيم "داعش" من جهة، وقوات النظام وميليشيات محلية مساندة لها من جهة أخرى، في الباشية السورية متراوحة الأطراف، والتي تحول جزء كبير منها إلى معاقل لخلافها نشطة من التنظيم، الذي يعتمد استراتيجية قتال تقوم على الهجمات المباغة والكمائن. هذه الاستراتيجية أدت إلى استنزاف قوات النظام التي تبدو عاجزةً عن مواجهة حاسمة مع "داعش". في المقابل، تثير تحركات التنظيم تساؤلات عدّة، لا سيما لجهة توقيتها، الذي يتزامن عادةً مع كل نشاطٍ سياسيٍ غايتها التوصل إلى حلٍ سياسيٍ يرفضه النظام.

وارتفع إلى أكثر من 50 عدد القتلى في صفوف قوات النظام والمليشيات الموالية لها و"داعش"، نتيجة المواجهات المستمرة بين الطرفين منذ يومين، قرب بلدة السخنة في ريف حمص الشرقي، في الباشية السورية. 30 من القتلى هم من عناصر التنظيم، بينما من المرشح ارتفاع عدد القتلى في صفوف قوات النظام، بحسب ما ذكر المرصد السوري لحقوق الإنسان، وذلك لسقوط جرحى لديه في هذه المواجهات، بعضهم في حالات خطيرة. وقال المرصد إن قوات النظام فقدت الاتصال بنحو 25 عنصراً في صفوفها، ما يرجح وقوع هؤلاء أسرى لدى "داعش"، الذي لم تردعه غارات جوية مكثفة نفذتها طائرات حربية روسية، ولم تمنعه من مواصلة اشتباكاته مع قوات النظام في الباشية، وهي اشتباكات تندلع بين كلٍّ فترة وأخرى.

وبحسب المرصد أيضاً، فإن حصيلة خسائر النظام والمليشيات المساندة له، سواءً أكانت محلية أو إيرانية، جراء الاشتباكات المستمرة مع "داعش" في الباشية خلال الفترة الممتدة منذ 24 مارس/آذار الماضي حتى اليوم، ارتفعت إلى ما لا يقل عن 590 قتيلاً من قوات النظام والمسلحين الموالين لها من جنسيات سورية وغير سورية، من بينهم اثنان من الروس على الأقل، و127 قتيلاً من المليشيات الموالية لإيران من جنسيات غير سورية. كما وثق المرصد مقتل 4 مدنيين عاملين في حقول الغاز، و11 من الرعاة وأمرأة، خلال هذه الفترة، مؤكداً مقتل 221 من عناصر تنظيم "داعش" خلال الاشتباكات

والعمليات العسكرية.

ومنذ هزيمته أمام قوات النظام والمليشيات الإيرانية تحت غطاء جوي روسي في جنوب نهر الفرات، وأمام "قوات سوريا الديمقراطية" (قسد) تحت غطاء من طيران التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة، اتجهت فلول "داعش" إلى الباادية السورية، لا سيما في المناطق القريبة من مدينة تدمر. ولا يُعرف على وجه الدقة عدد عناصر التنظيم المنتشرين في الباادية، لكن مصادر محلية من تدمر ذكرت لـ"العربي الجديد" أنهم يشكلون بضعة آلاف، ويتخذون من هضاب جبلية معاقل للتخفي، لا سيما جبل أبو الرجمين وجبل العمور وجبل البشري، حيث ينطلقون منها للقيام بعمليات عسكرية ضد قوات النظام والمليشيات الإيرانية. وأشارت المصادر إلى أن التنظيم يستفيد من تضاريس المنطقة الصعبة للهروب من قصف الطيران الروسي، مبينة أن فلول "داعش" تعتمد استراتيجية قتالية ترتكز على الهجمات المباغطة والكمائن، من خلال مجموعة محدودة العدد قادرة على التحرك السريع.

ولفتت المصادر إلى أن خلايا التنظيم تملك أسلحة خفيفة ومتعددة، وتمتد منطقة عملياتها العسكرية الواسعة من بادية دير الزور، لا سيما في الريف الجنوبي لمدينة الميادين في ريف دير الزور الشرقي، إلى منطقة السخنة التي لطالما شهدت مواجهات دامية مع قوات النظام. وأوضحت أن عمليات "داعش" تتمتد إلى ريف الرقة الجنوبي الغربي في منطقة الرصافة التي يقتل بالقرب منها بين فترة وأخرى عدد من قوات النظام المنتشرين على طول خطوط التماس مع "قسد" التي تصل مناطق سيطرتها إلى تخوم الباادية السورية. ولا يقتصر التنظيم على هذه المناطق، إذ يُغير بين فترة وأخرى على منطقة جبل الضاحك في ريف حمص الشرقي، وصولاً إلى أطراف جبل البلعاص بريف حماة الشرقي.

ووصل "داعش" أكثر من مرة إلى موقع المليشيات الإيرانية في ريف دير الزور، كما هاجم حقول غاز في ريف حمص الشرقي خلال العام الحالي، وخصوصاً حقل الشاعر، والذي يعد من أهم حقول الغاز السورية، وأكثرها إنتاجاً. وأوضحت المصادر أن "داعش" يعتمد على مليشيات تابعة للنظام وأخرى تابعة للحرس الثوري الإيراني في سوريا، في عمليات شراء أسلحة وذخائر ومواد غذائية، مشيرة إلى أن لدى قادة التنظيم في الباادية كتلة مالية كبيرة جلبوها معهم حين انسحابهم من العراق والشرق السوري منذ أكثر من عامين.

لكن اللافت أن خلايا "داعش" تنشط بكثافة في الباادية عند كل منعطف سياسي تمر به القضية السورية، ما يثير تساؤلات عن توقيت هذا النشاط ودوافعه. ومنذ بدء الثورة السورية في بدايات عام 2011، يحاول النظام السوري إظهار نفسه أمام الرأي العام العالمي بمظهر المحارب لل الفكر المتطرف، في حين تؤكد الواقع أن النظام نفسه أسهم، بل دفع إلى تشكيل ودعم تنظيمات متطرفة منها "داعش"، لخلط أوراق ما يجري في الساحة السورية وضرب الجوهر الأخلاقي للحرك الثوري في البلاد.

وفي ظل تحركات طفت أخيراً على السطح الإعلامي تهدف للتوصل إلى حلول سياسية للقضية السورية، يبدو أن بعضها يدعو إلى استبعاد رئيس النظام بشار الأسد من السلطة، يعاود "داعش" نشاطه في الباادية، ما يدفع البعض إلى الاعتقاد بأن للنظام دوراً في ما يجري، إذ يحاول تعطيل المسار السياسي تحت ذريعة القضاء أولًا على الإرهاب.

ورأى الباحث السياسي السوري حمزة المصطفى، في حديث مع "العربي الجديد"، أن التنظيم "بعد هزيمته في آخر معاركه في منطقة الباغور في ريف دير الزور الشرقي مطلع العام الماضي، عاد إلى استراتيجيةه القديمة القائمة على الاستقرار في البوادي النائية لحماية ما تبقى من كوادره أو نواته الأيديولوجية الصلبة، وإعادة تنظيم نفسه بانتظار فرصة جديدة لإعادة التغلغل". ورأى المصطفى أن "قادة التنظيم السابقين والحاليين يدركون أن التنظيمات الجهادية تنمو في الفوضى الأمنية وضمن أجواء المظلومية السياسية أو الدينية، وهذا عاملان لا يزالان قائمين في مناطق تمدد التنظيم في سوريا والعراق،

لذلك فهو ينشط عند الاستحقاقات السياسية من أجل تأكيد هذه المظلومية واستغلالها، في ظلّ استمرار الأزمات البنوية التي تعصف بسوريا والعراق". كما رأى الباحث أن النظام السوري "استفاد من وجود التنظيم منذ تأسيسه، ما أسهم في تحول الاهتمام الدولي إلى محاربة الإرهاب"، غير أنه أعرب عن اعتقاده بأن "استحقاقات التنظيم وحساباته ذاتية بحثة، ولا علاقة لها مباشرة بحسابات النظام السياسي."

المصادر:

العربي الجديد